روحانيات عالية و طقوس استثنائية وأنشطة إنسانية فريدة

رمضان إيـران معطّر بـحُبّ فلسـطين

ونحن في هذا الشهر الفضيل، تُبهرنا الجمهورية الإسلامية الإيرانية بحزمة العادات و الطقوس التي يُمارسها الإيرانيون ابتهالا بضيف الرحمن. وكما هو معلوم، تتميز الجمهورية بالتنوع القومي و الحضاري، ما مكنها من أن تزخر بمنظومة تراثية متجذرة، تتنوع من منطقة إلى أخرى، عاكسة ثراءها و زخمها. لهذا الغرض، عقدنا سلسلة لقاءات مع المستشار الثقافي الإيراني بالجزائر، السيد جلال ميراقايي، تطرق من خلالها إلى العادات والتقاليد السائدة في إيران في هذا الشهر الفضيل، خاصة أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحظى بعادات وتقاليد رمضانية خاصة نوعًا ما عن بقية الدول، وقد تم تصنيفها ضمن قائمة التراث المعنوي نظرًا للأهمية التي تحتلها لدى الشعب الإيراني. في هذا المقال، سنلخص أهم النقاط التي تطرق إليها السيد المستشار حتى يتسنى لقرائنا الأعزاء التعرف على طقوس الإحياء و التحضيرات لضيافة الرحمن في هذا البلد الذي يضم فسيفساء من الأعراق.

قلم: هناء سعادة

يتميز شهر رمضان في إيران بالعديد من المظاهر الاحتفالية، ما بين مسابقات في حفظ القرآن الكريم، والجراتشي (المسحراتي)، وخياطة أكياس البركة إلى بسط موائد الرحمن. وتُعد إقامة حفلات الافطار في المؤسسات الخيرية، ودور المسنّين، ودور الأيتام ليث السرور في قلب الصائمين، وكسب رضا الله، أحد أهم التقاليد المشتركة بين الإيرانيين، كما تتغير ساعات العمل في الدوائر والمؤسسات الإيرانية، حيث ينتهي العمل قبل ساعة واحدة من موعد العمل في الأيام العادية تقديرا لوضع الصائم، وينتهي قبل ساعتين أيام ليالي القدر المباركة.

ومن أبرز العادات الرمضانية الإيرانية، نجد صيام "كله كنجشكي"، و هي عادة يتوارثها الإيرانيون في شهر رمضان المبارك؛ وتضم الأطفال الصغار بهدف تشجيعهم على الصوم وترغيبهم في الشهر الفضيل، ناهيك عن ترسيخ الطقوس و التقاليد الثقافية العريقة التي يتميز بها الشعب الإيراني الأصيل، والتي تستمد غناها من عراقة الحضارة الفارسية من جهة، و من تعاليم الدينّ الاسلامي الحنيف من جهة أخرى، مما جعلها إرثا حضاريا عظيما، يفتخر به الشعب الإيراني.

التحضيرات لاستقبال ضيف الرحمن

يمارس الايرانيون حزمة عادات أصيلة قبيل حلول ضيف الرحمن، تحمل رموزا ومعان ترتبط بشهر الله المعظم، و تصطبغ بكثير من الحميمية لارتباطها الوثيق بمظاهر الفرح و البهجة، فلا يزال الفرد الإيراني يكتسز أعمق المفاهيم في التفاؤل والرجاء وتحقيق الرغائب في هذا الشهر الفضيل، والذي يطلق عليه الايرانيون "ربيع القرآن"، أو "شهر ضيافة الله".

تعيش إيران في تلك الفترة أجواء لا مثيل لها؛ أجواء روحانية جميلة تعم أرجاء البلد، حيث تباشر العوائل الإيرانية الاستعدادات لرمضان كشهر عبادة المبارك، فهو الشهر الذي وُلد فيه عدد من أبناء الرسول (ص)، و تتنوع الاستعدادات ما بين روحية، فيستحب فيه الصيام و الصلاة و تلاوة القرآن، و اجتماعية، فلا تزال الأسر الإيرانية تولي اهتماما للعادات التقليدية العريقة، وقلما يقع السهو عن إحدى جزئياتها. ومن بين التحضيرات، نذكر:

خانه تكاني أو "هز المنزل"، أو "التنظيف الأساسي"

يعتبر شهر رمضان من المناسبات العزيزة على قلوب الايرانيين، وتستبق بعض العائلات شهر الصوم بأجواء وطقوس احتفالية. تتنوع مظاهر الاستعداد لهذا المناسبة من منطقة لأخرى تبعا للعادات والتقاليد، إلا أنها تشترك في التحضيرات المنزلية، التي تسهل قبل أيام من حلول شهر الفضيل، والمتمثلة في تنظيف البيوت في جو مرح، يطلق عليها تقليد "خانه تكاني"، وترجمتها إلى العربية "هز المنزل"، أو "التنظيف الأساسي".

تشمل خانه تكاني تنظيما شاملا لجميع مقتنيات المنزل وعرضها تحت الشمس، وتجديد الأثاث والألوان، كما تقوم ربات البيوت بتنقّد أجزاء المنزل النائمة وصيانتها، وغسل السجاد والنوافذ، وتزيين المنزل بالورود، ويستقبل الشهر المبارك بحلة نظيفة ومريحة. كما تشهد مغاسل غسيل السجاد قبيل شهر الله الفضيل ازدحاما كبيرا، حيث تزدهر هذه المهنة في هذه الأيام.

تنظيف المساجد

يتطوع الإيرانيون رجالا و نساء وأطفالا لتنظيف المساجد والتكايا والأماكن العامة التي ستقام فيها مراسيم رمضانية طوال الشهر، ويكون ذلك في آخر جمعة من شهر شعبان، وتهدي بعض العوائل سجادات صلاة من نوع "البسط" إلى مسجد الحيّ. وفي بعض القرى، تحاك سجادات تقليدية من النّباد خصيصا لهذه المناسبة، تعرف بـ"نماز ليق".

اقتناء لوازم البيت

تنتفض ربات البيوت في تحضير كل أنواع التوابل والبهارات، واقتناء ما تحتّجته من الخضر واللحوم البيضاء منها والحمراء لتجميدها في الثلاّجات حتى ينسى لهن طبخ ما لذ و طاب لأفراد عوائلهن بعد يوم كامل من الامتناع عن الأكل والشرب. وتقام تلك التحضيرات في أجواء حميمية، إذ اعتادت العائلات على إحيائها في كل مناسبة، ويشارك فيها الجيران أيضا، خاصة في القرى التي يتقاسم فيها الجميع الأفراح و الأتراح. وفي اتفاقة باتت عنوانا للترابط الاجتماعي في ما بين أفراد المجتمع الايراني، يضع الإيرانيون سلالا غذائية للمحتاجين في الحيّ. تخبز السيدات، في بعض المحافظات، و بكميات كبيرة، نوعا رقيقا من الخبز، وتحتفظ به في أوعية أسطوانية الشكل، تكون مصنوعة من أغصان أشجار الصفصاف أو أشجار الجوز البري، و يؤكل طوال الشهر، بالإضافة إلى تحضير نشا الأرز، و تقطيع اللحوم إلى قطع صغيرة و تعليقها في السقف.

عقد جلسات الصلح

من طقوس استقبال شهر رمضان، محو الأحقاد و عقد جلسات الصلح، حيث تشكل هذه المناسبة فرصة عظيمة لتصفية الخلافات، وصلة الأرحام، ونبذ المشاحنات الشخصية، أو التي تعرفها القرية أو المنطقة أو الحي، ولطلب العفو للمحكومين بالقصاص من أولياء الدم. ولما كان الإصلاح بين الناس مستحبا في كل الأوقات، فإنه يجدّ في المناسبات البهيجة و المباركة كهاته. لم يُغفل الايرانيون هذا الشق الانساني لرص القلوب، فيسعون جاهدين في هذه المناسبة إلى الإصلاح بين المتخاصمين و ذات البين، حتى يفرح الجميع في جو من التضامن والأخوّة والتسامح، وغالبا ما توكل هذه المهمة إلى كبار الحي والقرية، الذين يسعون جاهدين لحلحلة الخلافات العالقة، حتى تتصالح القلوب وتعود المياه إلى مجاريها. وفي بعض المحافظات، يجهز، عشية رمضان، مختار الحارات الذين يسمّون "ياش أولي" عشاء خاص يسمى "الله يولي"، وينادي بالمتخاصمين في مبادرة لحلحلة الخلافات. كما يبادر شيوخ كل حيّ بدعوة من وقع بينهم الشجار وتدهورت علاقاتهم إلى شرب الشاي في أحد البيوت من دون إطلاع الطرفين على الأمر، حيث تجري حينها المصالحة بينهما.

"كَلوخ أندازان" أو "كلوخ أنداز"

يعد تقليد "كلوخ أندازان" أي رمي الكتل الترابية أو الغرين في السهول والمنتزهات، والذي ذكر في كتاب تاريخ الطبيعتين، من العادات القديمة الشائعة في بعض المناطق الإيرانية، حيث تخرج العوائل في آخر جمعة من شهر شعبان إلى الطبيعة و المنتزهات، لقضاء أوقات ممتعة، مغذية استعدادا للصيام. وعند غروب الشمس، يقف الناس، كبيرهم وصغيرهم، باتجاه القبلة وهم يحملون بأيديهم "كتلة ترابية" مرددين هذه العبارات: "ربّنا تركنا ذنوبنا ومعاصينا الماضية وحطمنا أغلالها وها نحن على استعداد تام للعبادة وصيام شهر رمضان"، ومن ثم يرمون السواد، وهو عبارة عن سائل هلامي القوام، يتم تحضيره بوضع بذور الريحان أو الحبق السوداء الجافة في الماء لبعض الوقت، ثم تخليته بالسكر وإضافة ماء الزهر أو الزعفران حسب الرغبة، في حين تُفضل بعض النسوة إضافة البليمون، أو زهرة لسان الخزام.

حسب السنة الحسنة التي يحييها الايرانيون كل عام في شهر رمضان الفضيل، يجلس الصائمون على موائد الافطار عند آذان المغرب وهم يدعون ربهم، سائلينه تعالى قبول الطاعات والعبادات وبيتهلون: "اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبله منا انك أنت السميع العليم"، ومن ثم يفطر الصائم على ما هو حلال وطيب من الأطعمة. يفطر الايرانيون بتناول التمر مع القليل من الماء الدافئ أو الحليب الدافئ أو اللبن الساخن أو الشاي. ثم يتناولون الجبنة البيضاء التي تقدم مع بعض الأعشاب التي تسمى "سبزة"، ويعد الريحان أبرز مكوناتها. يضاف إليها الجوز، وتؤكل مع نوع خاص من الخبز يسمى "السنگك"، وهو رغيف بحجم كبير يخبز على الحجارة. كذلك، يتناولون قطعة أو اثنتين من حلوى "الزولبية" المعروفة في بعض البلدان العربية. وفي الصيف، تفطر معظم العائلات الايرانية على البطيخ لارواء عطشها.

وأما المائدة الثانية التي تعد الرئيسية، فيتم افتراشها بعد ساعتين تقريبا من أذان المغرب، و تشتمل على الأطعمة الايرانية التي تعد من الأرز، ومختلف أنواع اللحوم، وطبيات أخرى من المطبخ الايراني، كوجبة "قرمة سبزي"، التي تحتوي على الخضار، مثل السبانخ والبقدونس والكزبرة، بالإضافة إلى الفاصولياء الحمراء ولحم الضأن وقليل من البصل والبهارات، وتضم المائدة "حساء الآش"، حساء الإيرانيين التقليدي في شهر رمضان، ويعد وجبة متكاملة وصحية تغني عن تناول وجبة أخرى خلال الافطار. وتتكون من الحبوب والبقوليات المتنوعة، على غرار الحمص والعدس والفاصوليا، ويضاف إليها أنواع من الأعشاب والخضراوات، أبرزها الكزبرة والبقدونس والسبانخ والكراث والنعناع. كذلك، يضاف إليها البصل، والثوم، والشعيرية، ويمكن إضافة مكونات أخرى لهذا الحساء، والبهارات كالملح والفلفل والكمون. بعد طهي هذه المكونات، تقدم في طبق، ويضاف على وجهه قليل من سائل "الكشك" أو اللبن المعد من السمن المحمر مع الدقيق، وشرائح البصل المقلي أو النعناع المقلي مع الزيت والثوم. ويفضل آخرون تناول "الحليم"، وهو غذاء رمضاني بامتياز، يعد نوع من المقبلات، ويتكون من القمح أو الشعير والدجاج واللحم. ومن أشهر المأكولات الإيرانية الأخرى، نذكر حساء أو شوربة الشعيرية، وشوربة شلة قلمكار، والزردة، وحلوى ركنيك، والحليب بالأرز، والمحلبي وغيرها، بالاضافة إلى المأكولات الجانبية كالسلطة والزبادي. أحيانا، تُؤهل المائدة الثانية التي تحتوي على الوجبة الدسمة إلى وقت السحور. تفضل بعض العوائل الإيرانية فرش موائد إفطارها المليئة بالبركة في الحدائق والمتنزهات، و الإفطار بشكل جماعي في جو تسوده البهجة بين الأشجار و الورود، خاصة و أن الشعب الايراني تربطه وشائج قوية مع الطبيعة. تعد العائلات التي تزوجت إحدى بناتها حديثا فطورا كامل، يسمى "روز والون"، ويرسلونه مع باقة ورد إلى العروس. علاوة عما سبق ذكره، وبناء على الظروف البيئية وأذواق سكان المدن المختلفة، يتم إضافة بعض الأطعمة على مائدة الافطار، وفيما يلي، سوف نتعرف على المأكولات المحلية التقليدية في مدن مختلفة من البلاد.

الطقوس الدينية في شهر رمضان المبارك

لا يخلو بيت إيراني من الشعائر الدينية، لمدى أهمية ضيف الله لدى الايرانيين. وتربط الإيرانيين علاقة خاصة مع الدعاء، فيحرصون على قراءته في أوقات متعددة من اليوم والنعمن في معانيه، وتبث محطات الاذاعة والتلفزيون دعاء السحر، ويبدأ مع استيقاظ الصائمين لتناول السحور، وينتهي عند آذان الفجر. كما ويحرص الكثير من الصائمين على المشاركة في البرامج التي تقيمها المساجد والحسينيات بعد الإفطار، ومنها تلاوة دعاء الافتتاح الذي يقرأ بصوت منغم يضفي جو إيمانية خاصة.

تجري العادة في الشهر الكريم بتوحيد الأذان في كافة مساجد إيران بصوت الشيخ زاده أردبيلي، كما تصدح أصوات المقرئين المصرين، أمثال الشيخ عبد الباسط عبد الصمد في منازل ومساجد إيران خلال الشهر الفضيل. وتمتلئ المساجد في رمضان بالمصلين الذين يؤدون الصلاة و قيام الليل و تلاوة القران. فمن الصور التي تثلج الصدور، وتسر النفوس في شهر رمضان، تلك الوفود التي تنجه إلى المساجد بعد أذان كل صلاة من أجل صلاة الجماعة، ويزيد جمالها في صلاة الليل، حين ترى الناس مثنى وثلاث ورباع، من كل الفئات، يخطون بخطوات سريعة من أجل اللحاق بالصفوف المتقدمة في المسجد...، حيث تتزين المساجد بضيوف الرحمان في بيته، فلا يخلو أي مسجد أو بيت عبادة أو حسينية أو العتبات المقدسة كحرم الإمام الرضا (ع)، من مجالس الأدعة مع القران الكريم، وفي السحر، يهرول الإيرانيون من نسائم الفجر الأولى آمين في الحصول على العفو و المغفرة الإلهية في هذا الوقت المبارك. تتسابق المراكز الدينية في وضع برامج ثقافية، وتقام أيضا مسابقات لحفظ القران، و احتفالات دينيه تمتد إلى ليلة القدر المباركة، والتي تحظى بالاهتمام الأكبر، وينتظرها كل الإيرانيين بشوق و محبة. وتعتبر ليالي القدر أو ليالي الاحياء كما يسميها الايرانيون محطة مهمة خلال شهر رمضان، فيسعون للاغتراف من بركاتها. وتجدر الإشارة إلى السنة الحسنة التي دأب عليها الإيرانيون سنويا بالتزامن مع ليالي القدر وذكرى استشهاد الإمام علي (ع)، و المتمثلة في حملات التبرع بالدم التي تقام في مختلف المحافظات، بما فيها العاصمة طهران.

الأنشطة الاجتماعية و الثقافية في شهر رمضان الفضيل

لا تقتصر الفعاليات الاحيائية في شهر رمضان على الأعمال الدينية فحسب، بل تشمل الأنشطة الاجتماعية و الثقافية التي تنجلي عادة في جمع التبرعات لمساعدة الفقراء و الأيتام، وإقامة الأسواق الخيرية العائدة أرباحها لدعم الطبقة المحتاجة أو المتعففة، ودفع الدية و الغرامات من أجل إطلاق سراح المسجونين الذين ارتكبوا الجرائم الغير متعمدة.

موائد الرحمن

لا ينسى الإيرانيون في هذا الشهر الفضيل المحتاجين وعابري السبيل، حيث تنظم الجمعيات الخيرية موائد الرحمان لإفطار الصائمين، فيما تتكفل أخرى بتوزيع وجبات الإفطار على المحتاجين. كما تنظم إفطارات جماعية في الساحات العامة و باحات المساجد لإدخال الفرحة على قلوب المحتاجين، وينولى عدد من المتطوعين والمتطوعات من مختلف الأعمار عملية طهي الطعام وتوزيعه، وتنظيم طاولات أو سفرات مأدبة الإفطار.

كما يسعى الكثيرون خلال شهر رمضان المبارك إلى تقديم الطعام للصائمين بشكل عام لنيل الأجر والثواب و تعبيرا عن الجود و الكرم، و قد تحولت هذه العادة إلى موروث إجتماعي، يطلق عليه "موائد الرحمن" أو "موائد إفطار الصائمين"..

تنظم موائد الافطار في أكثر من 100 مسجد في مدينة طهران، تتم هذه المبادرة من خلال مشروع خيري، يطلق عليه إفطار صُيوف الرحمن، يساهم فيه التيسيرون مالا. تبدأ عملية توزيع الإفطار عند سماع الأذان، وتشمل الوجبة كوبا من الماء الساخن أو الشاي، وقليل من التمر واللبن الأبيض، وشيء من الخضراوات، إضافة إلى قطعة من الخبز فيلز فرش سفرة الوجبة الرئيسة للإفطار. وسنويا، تنظم العتبة الرضوية المقدسة، بشكل يومي، مشروع "مائدة الإكرام الرضوي" لإفطار الصائمين في صحن ومرقد الإمام الرضا بن موسى بن جعفر عليهم السلام، فضلا عن تجهيز بيوت الفقراء خلال شهر رمضان المبارك. كما لا يقتصر مشروع الضيافة على زوار ومجاوري المرقد الشريف، حيث تقوم العتبة الرضوية يوميا بإيصال (40000) وجبة إفطار للمناطق المحرومة التابعة لمحافظة مشهد المقدسة. يستفيد معه الإفطار السنوي بمدينة مشهد أكثر من خمسة ملايين زائر، و تزين سفر الإفطار بالأزهار. كما تقام مأدبة إفطار لفائدة الآلاف من الأشخاص في كل ليلة من ليالي شهر رمضان في مرقد السيدة فاطمة المعصومة (س) بنت الإمام موسى الكاظم (ع) بمدينة قم المقدسة وذلك بسواعد كوادر متخصصة في طبخ الرز والمرق وغيرهما من أشهى الأطباق الإيرانية.

جمع كسوة العيد

يسعى الخيرون أيضا لجمع كسوة العيد لتوزيعها على اليتامى والمعوزين قبيل عيد الفطر المبارك. كما تكثف المؤسسة اعانة الفقراء التي أنشأها الامام الخميني (قدس) نشاطاتها في هذا الشهر لمساعدة الفقراء. ولاستجلاب ختم القرآن الكريم في رمضان، يحرص كل شخص "أمي" على شراء المصحف وتقديمه لآخر متعلم، كي يشارك في ثواب ختمة القرآن.

صيام "كله كنجشكي"

ومن العادات التي دأب عليها الإيرانيون في شهر رمضان المبارك؛ نذكر صيام "كله كنجشكي" المخصص للأطفال الصغار الذين يحيون هذه الشعيرة لأول مرة. تحرص العائلات الإيرانية على الاحتفال بالصائمين الجدد من خلال الاحتفاء بهم وتشجيعهم، فيحظون طوال الشهر برعاية خاصة من أجل دفعهم للمواظبة على أداء فريضة الصوم، لما تكتسي هذه الأخيرة من قدسية في المجتمع الإيراني. فتعويد الطفل على الالتزام بالصوم وتدريبه على أداء باقي الفرائض الدينية حتى قبل سن التكليف الشرعي من أهم الأمور التي يحرص عليها الأولياء بهدف تعزيز الجانب الديني عنده منذ صغره لما في ذلك من الأثر البالغ على نفسيته و حياته و خلق روح المسؤولية فيه، خاصة ما يتعلق بشعيرة الصوم التي تمثل الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والإدراك، مما يجعل إشعار الأطفال في سنّ معيّن بأهمية الصوم ضرورة تفرض نفسها من خلال خلق جو احتفالي.

يتحمس الأطفال، من جهتهم، لأداء هذه الفريضة، و يبدون استعدادا تاما و اينهاتها لإتمامها حتى يثبتوا نضجهم و قدرتهم، ولا ريب أن هذه الرغبة تعكس الاستقامة في المجتمع الايراني.

تراقق صيام الأطفال للمرة الأولى طقوس معينة، فاليوم الأول من الصيام يكون خالدا ومميزا للطفل في حد ذاته، حيث يلقى اهتماما كبيرا من طرف الكل خاصة الآباء الذين يقومون باصطحاب أبنائهم للتسوق والتجول ويشترون لهم ما يشتهون، وعند العودة إلى المنزل، يأخذ الطفل قسطا من الراحة، في حين تكون الأم بصدد التحضير لوجبة الافطار التي تكون مميزة، حيث تعطى الأولوية للأطباق التي يحبّذها الطفل الصائم تشجيعا له على مواصلة هذه الشعيرة الدينية، وترغيبا للباقين للقيام بذات الشيء، وتعريفا لمن لم يبلغوا بعد السن الذي يوجب عليهم الصوم بمدى قداسة هذا الشهر المعظم.

صيام رأس العصفورة "روزه كله نجشك"

صيام رأس العصفورة هو طريقة إبداعية لتطبيق تعنمدها العوائل الايرانية لتشجيع الأولاد على الصيام، من خلال التدرج في إتمام اليوم. وعادة ما يتبع أغلب الأولياء طريقة واحدة في تعويد أبنائهم على الصوم بما يتوافق ونسهم، حيث يمنعونهم من الأكل والشرب لساعات، ثم تُنصف يوم، فيوم، ليخوض الطفل تجربة صيام بعض الأيام من رمضان إلى أن يجد نفسه يصوم الشهر بكامله. ويبقى الصيام الأول يوما مشهودا لا يزال يحظى بمكانة خاصة عند بعض العائلات.

فبمجرد أن يتم الطفل عامه السابع، ينضم إلى قافلة الصائمين، فيتم إيقاظه للسحور مع العائلة و يصوم بعدها على حسب مقدرته، و غالبا ما يكون إلى غاية انقضاء الفترة الصباحية، أي من الفجر حتى أذان الظهر، ليتناول الطعام والشراب طوال فترة ما قبل المغرب، ويجتمع مع أفراد العائلة وهو يشعر بأنه قد صام مثل الكبار، فيستحق على ذلك الجلوس إلى المائدة الرمضانية و تناول ما لذ وطاب، كما يتحصل على الجوائز كمكافئة له على صبره.

ألعاب زورخانه وتَرنا و المحيبس والقرقيعان

لكل بلد من البلدان رياضة تقليدية يعتز بها، و"الزورخانة" هي الرياضة الشعبية الأولى في إيران. تتألف كلمة "الزورخانة" (بالفارسية: ورزش زورخانه) من مقطعين "زور" ويعني القوة، و"خانة" وهي البيت أو النادي كما يصطلح الآن على أماكن تجمع الرياضيين، فهي إذن "بيت القوة"، وهو المكان الذي يتدرب فيه المصارعون على رياضة المصارعة الشعبية. اشتهرت هذه اللعبة في المئة سنة الماضية من القرن الماضي، غير أنها تعود إلى أكثر من 07 قرون من الزمان. وفي 16 من نوفمبر عام 2010، سجلت منظمة اليونسكو هذه الرياضة الإيرانية التقليدية في قائمة تراثها المعنوي، وأيضا جاء في موسوعة "بروك هاوس" الألمانية وتحديدا في مجلدها الخاص بالرياضة أن رياضة (زورخانه) الإيرانية هي من أقدم الألعاب الرياضية الخاصة بكمال الأجسام في العالم. ومن الألعاب الشائعة في إيران خلال شهر رمضان المبارك، لعبة "ترنا"، حيث يتجمع الإيرانيون في المقاهي، و يلعبون هذه اللعبة المشتقة من الكلمة العربية الدرة-بكسر الدال، وهي لعبة يستخدم فيها شال مربوط ومتشابك. ومن جهتهم، يلعب أهالي خوزستان لعبة المحيبس في رمضان (مشهورة أيضا في العراق). فمع حلول شهر رمضان المبارك من كل عام تنتشر لعبة المحيبس التراثية الرمضانية في الشارع الايراني الشعبي بشكل لافت للنظر. يتم لعب المحيبس بفريقين وبأي عدد من المشتركين، حيث يقوم أحد الفريقين بتخبئة المحيبس أو الخاتم بيد أحد أفراد فريقه دون علم الفريق الثاني، عندها يقوم أحد أفراد الفريق الثاني بالبحث عن المحيبس بإسقاط الأشخاص الذي يعتقد بعدم وجود المحيبس بيدهم، فإن أخرج أحد اللاعبين وكان المحيبس بيده يخسر الفريق نقطة، ويعاد تخبئة المحيبس من جديد، وإن حزر رئيس الفريق الأول اليد المخبأ بها المحيبس ربح فريقه نقطة وحصل على الخاتم ليخبئه بدوره عند أحد أفراد فريقه، ليبحث عنه الفريق الثاني وهكذا. يستمر اللعب لحين وصول أحد الفريقين لمجموع النقاط التي يتفق عليها مسبقا، وبذلك يكون هو الفريق الفائز، ويحصل على الجائزة، ويدفع الفريق الخاسر كلفة صواني الحلويات.

يحيي أهالي المدن الجنوبية الايرانية تقليد رمضاني ينتشر في عدد من البلدان العربية يدعى "قرقيعان" (باللهجة الشعبية "كركيعان" بالكاف الفارسية)، حيث يطوف الأطفال بأزياء شعبية على البيوت، مرددين الأهازيج ومباركين بولادة الامام الحسن المجتبى (ع). وينمّ الاحتفال بمناسبة قرقيعان مساء يوم 14 من شهر رمضان أي ليلة منتصف رمضان وهي الليلة التي تصادف ميلاد الامام الحسن بن علي عليه السلام.

يقال إن أصل كلمة "قرقيعان" يعود إلى المدينة المنورة عند ولادة الإمام الحسن بن علي حيث كان يطوف الناس في المدينة، ويرددون التهاني للنبي محمّد (جده من أمّه) بولادة الحسن باعتباره حفيده الأول، وكانوا يهتفون "قرت عينك يا رسول"، فأصبح يعرف الامام الحسن بقرة عين النبي محمد، وتحول ميلاده إلى مناسبة سنوية باسم "قرقيعان".

ومن الروايات الشائعة عن تسمية هذا الطقس بالقرقيعان، القول بأنها مأخوذة من "قرع الباب"، وقيل من الأصوات المدوية عن الحلوى والمكسرات عندما تفرقع وتتحرك داخل الكيس الذي يكون معلقا على أعناق الأطفال، ويرجح البعض أن اسم هذه المراسم مأخوذ من عبارة "قرة عين"، التي يرددها الأطفال عند طرق أبواب المنازل لأخذ الحلويات ووضعها في سلال من النخيل. تسود في القسم الجنوبي لإيران في هذه المناسبة أجواء من الفرح والسرور، حيث يوزع الأهالي المكسرات والحلويات على الأطفال الذين يخرجون بعد الافطار إلى الأزقة، ويرتدون ملابس شعبية، ويصطحبون معهم أكياس لجمع الهدايا والحلويات من المنازل، ويرددون الأهازيج الخاصة بـ"قرقيعان". ومن بين هاته الأهازيج: كرك هان وكرك هان/الله نط كم رضعان/ ا أهل السطوح تعطونه لو انروح".

لباس مراد أو أكياس البركة

تعد خياطة أكياس البركة أو "خياطة الكيس" أو "كيس المراد"، وبالفارسية "كيسه مراد" أو "كيسه دوزي"، من أهم التقاليد الخاصة بشهر الصيام، ففي محافظة "همدان" بإيران، تتجه النساء في اليوم الـ27 من شهر رمضان الكريم إلى المساجد لأداء صلاتي الظهر و العصر، ويحملن معهن كمية من القماش والخيط والإبرة. تقمن، بين الصلاتين، بخياطة هذه الأكياس لاعتقادهن بأن كل من يدخل مبلغ من المال فيها يضاعف الله سبحانه وتعالى من ماله ويكثر من رزقه. وتعتقد بعضهن بأنه إذا حملت الفتيات العازبات هذا الكيس سيزيد حظهن بالزواج، وإذا حمله المريض سيشفى، وإذا حمله المحتاج سيفك كربه. وفي بعض المحافظات، تتم خياطة الأكياس في الجمعة الأخ رة من شهر رمضان المبارك. وفي مدينة دامغان التابعة لمحافظة سمنان شرقي طهران، تتجدّد هذه العادة الشعبية إلى أكثر من 500 عام. تجمع النساء، في هذه المحافظة، يوم السابع والعشرين من شهر رمضان في مسجد "تاريخانه" الأثري لخياطة الكيس، فيبدأ هذا التقليد في الساعة التاسعة صباحا وينتهي مع صلاة الظهر. تحرص كل نساء المدينة على المشاركة في هذا التقليد الرمضاني، و إذا تعذّر على إحداهن، فتنوب عنها إمرة أخرى.

هدايا المخطوبين و تبادل الزيارات

جرت العادة في بعض المدن الإيرانية ك "لار" و"همدان"، بأن ترسل عائلة العريس هدايا لعائلة العروس، وعادة ما تكون صينية تتكون من فستان وشادور للصلاة (ثياب الصلاة) و الحلويات. وبعد الزواج، فإن أهل العروس هم من يرسلون الهدايا لأهل العريس. كما تتبادل عوائل العرسان الزيارات و الهدايا. وفي بعض المدن غرب إيران، ينوجب على أصغر فرد في العائلة زيارة منزل أكبر فرد فيها ثاني أيام رمضان، فيما تستمر هذه اللقاءات إلى منتصف الشهر، حيث تقام مراسم خاصة بالأطفال في مدن مختلفة في إيران تعرف بين عرب إيران بمراسم "قرقيعان"، فيما تعرف بـ"كاشان" باسم "هوم بابانى" يجول فيها الأطفال على أبواب الحي طلبا للحلويات، ومرددين الأهازيج. كما تقام مراسم لقراءة الأشعار الدينية في ليلة 15 رمضان في بعض المدن الإيرانية، ولا تزال هذه الطقوس تحظى باهتمام خاص حتى بين المسؤولين لما يعنيه الشعر لدى الإيرانيين.

يتبع في الصفحة 10

رمضان في إيران..

روحـــانيات عـــالية و طـــقوس استـــثنائية وأنشـــطة إنســـانية فريـــدة

سحر خواني أو المسحراتي

يعتبر الجراتشي أو المسحراتي واحدًا من أهم مظاهر شهر رمضان الكريم في إيران، ويُعرف باسم " الجراتشي" أو "جارجي" وينتشر وجوده في مختلف القرى و المدن الإيرانية، مما يجعله موروثا رمضانيا عريقا يأبى أن يتوارى خلف وسائل ضبط التوقيت الحديثة، فعلى أذكار المسحراتي وإيقاعات طبله السيمفونية وهو يجوب الشوارع إحياء لتقليد "ترنيمة السحور"، يستيقظ الصائمون لتناول سحورهم. و"المسحراتي" هو شخص يتطوع طيلة شهر رمضان الفضيل لإيقاظ النيام للسحور، فينبههم بقرب وقت الإمساك من خلال تجواله قبل الفجر بكل أحياء المدينة، و يكون ذلك إما بالمناداة أو قرع الطبول ودق الأبواب أو العزف على المزامير، وعادة ما يكون النداء مصحوبٍ ببعض التهليلات أو الأناشيد الدينية.

فقبيل الإمساك بساعتين، يبدأ المسحّراتي جولته الليلية في الأحياء الشعبية موقظ أهاليها عن طريق الضرب على طبلته، المرفوق بصوته الجميل الذي يصدع بأجمل الأهازيج والأناشيد الدينية، مما يضفي سحرا خاصًا على المكان، وبذلك يترقب الصائمون ظهور شخصيتهم المحببة في الشهر الفضيل؛ بعضهم يوافيها إلى الشارع ويشاركها الأهازيج، خاصة الأطفال الذين يتجمهرون من حوله ويسيرون معه في الطرقات المظلمة التي يشق سكونها بصوته الرنان وضربات طبله وهو يتغنى بأسمائهم من فينة إلى أخرى، في حين يكتفي البعض بالتلويح له من البعيد. أما الأشخاص الذين أفل بعض من ذاكرتهم باندثار المسحراتي عن الوجود، فيركنون إلى ذكراتهم البعيدة عندما يصلهم مدّ الحنين. لا يتقاضى المسحّراتي أي أجر مقابل خدماته، وعلى غرار الكثير من المسحراتيين في غالبية المجتمعات الإسلامية، ينتظر حلول أول أيام العيد، فيجوب المنازل واحدا واحدا في جولة توديعية، ومعه طبلته المعهودة لينال بالمقابل نصيبه من "العيدية"، فيُقدم له السكان المال والهدايا والحلويّات عرفانا لمجهوده و تشجيعا له للاستمرار في هذه الرسالة النبيلة، وبعدها يتبادلون عبارات التّهنئة بالعيد السّعيد، وهكذا تخرج شخصية المسحراتي إلى الحياة مطلع كل رمضان، لتعود أدراجها إلى مساحات الذاكرة صباح يوم عيد الفطر.

وللمسحراتي شهرة خاصة في المناطق الكردية في إيران، فقبيل الإمساك، يبدأ المسحّراتي جولته الليلية في الأحياء الشعبية موقظ أهاليها بصوته الصادح المقرون بضربات فنّية بواسطة طبله. يردد المسحراتي أناشيده باللغتين الكردية والفارسية. وفي مدينة "خنداب" بإيران، يستيقظ الأهالي على صوت الطبل الذي يضرب عليه بالعصا الفتى المكبر الذي يصاحبه أكبر المؤذنين وهو يردد مقاطع من دعاء الخواجه عبد الله الأنصاري، ويُنادي "أفيقوا.. فقد حلّ السحر"، ويتجوّل المؤذن والفتى في الأحياء والأزقة، حيث يتقدّم المؤذن الفتى الذي يضرب على الطبل أو الطست ويستمرّان في عملهما حتى تضاء مصابيح البيوت. وفي الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر الصيام، يُردد المسحراتي "قصائد الوداع" وتحية شهر شوال. لا يختلف هذا التقليد الرمضاني كثيرا في مدينة خمين، حيث يصعد الفتيان أسطح المنازل ويبدءون بالضرب على الطست أو الطبل، وكلما اقترب موعد السحر، يرتفع معدل الضرب على الطبل أكثر وأكثر إعلانا بأنّ موعد أذان الصبح قريب وبالطبع يجب الإمساك عن تناول السحور، ثم يرفعون على مسامع السكان الأذان. وقديما، كان الإيرانيون يفطرون على صوت المدفع، ويرجع تاريخ هذه العادة إلى عهد ناصر الدين شاه القاجار، غير أنها ألغيت عام 1940 بعد اختراع الراديو.

التلفاز الإيراني

أما عن التليفزيون الإيراني فهو مثل كل الأدوات الإعلامية التي تبث مسلسلات وبرامج رمضانية، إلا أن ما يميزه هو بثه للمسلسلات الدينية بشكل كبير تماشيا مع الأجواء الروحانية التي تطبع هذا الشهر الفضيل. كما لا يخلو بيت في شهر رمضان تحديد في إيران من صوت الموسيقار محمد رضا شجريان مكبر وداعي بالدعاء الشهير "ربنا ولا تزغ قلوبنا ..."، وذلك عبر القنوات الرسمية للبلاد. كما لا تخلو كبريات صالات العرض والمسارح الإيرانية من حفلات قامات الموسيقى التقليدية الإيرانية الأصيلة التي يستغرق أداؤها لساعات، فنتعرّف هناك إلى ألحان عظماء، من أمثال شجريان، وعلي رضا إفتخاري، وشهرام ناظري، وكيهان كلهر، وحسـ ـن علي زاده، ومحمد رضا لطفي وآخرين من كبار رموز العزف على الوتر.

النشاطات القرآنية الرمضانية في إيران

ولأن شهر رمضان المعظم هو شهر القرآن، تشرق أنوار الكتاب المبين حفظا وترتيلا وتلاوة بشكل أكبر في الجمهورية الإسلامية المباركة، وهي الأنوار التي لم تغب عنها أبدا، فلا تجد مسجدا، أو حسينية، أو مركزا دينيا إلا وفي جنباته أصداء كتاب الله المعظم، تلاوة وتجويدا، فتتحول تلك المراكز في هذه الأيام المباركة إلى أماكن عامره بالذكر الحكيم وموائد الرحمن، ويتم عرض أحدث المصاحف المطبوعة و الكتب التفسيرية و المختصة في علوم القرآن.

تُجدد إيران العهد كل سنة في رمضان مع المعرض الدولي للقرآن الكريم الذي أضحى علامة بارزه لشهر رمضان، إذ يحتضن مصلي طهران الكبير أجنحه هذا المعرض بمشاركه مراكز الأبحاث القرآنية من مختلف دول العالم. ويتم عرض أحدث المصاحف المطبوعة وتقنيات التعليم الالكتروني، وأهم الكتب والدراسات القرآنيه وآفاق طباعة ونشر القران الكريم، ومجالات الارتقاء بالثقافة القرآنية وعلوم الحديث، وسبل إدخال المواد القرآنيه في التكنولوجيا الحديثة والانترنت. ويضم المعرض بين جنباته أربعين قسما، منها الاستشارة والحوار القرآني، والبحوث وترجمة القرآن، والقرآن والأطفال، إضافة إلى قسم المجلات الرقمية.

تُنظم، من جهتها، المراكز واللجان الدينية في المدن والقرى بإشراف لجنة التبليغات الإسلامية، معارض ومسابقات وفعاليات قرآنية متنوعة، هدفها نشر الثقافة القرآنية. و الجدير بالذكر أن البلد يضم دور للقرآن في كل بلدة، يُشرف عليها معلمون، تعينهم وزارة التربية والتعليم. وفي هذا السياق، نشر موقع قناة القرآن أنه يوجد في الجمهور ـة الإسلام ـة الإيرانية أكثر من 4700 مؤسسة قرآن ـه، ولد ـها فعال ـات قرآن ـه مُكثفة في شهر رمضان الكريم، وندوات لتبادل الآراء الفقهية واكتشاف الجديد في الساحة الفكرية، ومسابقات لحفظ القرآن و المعرفة القرآنية.

وتكريسا لتعاليم المرجعية الإيرانية الرشيدة، كان الدور الأبرز بعد المنازل للمسجد، باعتباره ليس فقط مؤسسة دينية تعبدية، إنما اجتماعية و تربوية تحتضن الأبناء، وتصقلهم صقلًا قرآنيًا، يصنع منهم قادة ومسئولين على قدر كاف من الوعي الديني والثوري والسياسي والإحاطة بكل ما يحتاجونه من معارف متنوعة. ومنه، يلعب المسجد دورًا بنّاءً ومهمًا جدًا في الإعداد القرآني. و في شهر رمضان المبارك، تطلق كل مساجد الوطن مسابقات لحفظ القرآن الكريم، وتشجيع تعلمه، مع تقديم هدايا للفائزين، سيرا على نهج الإمام الخميني، طاب ثراه، والذي ارتأى أنه من الضروري الاحتفاء بحفظة القرآن. كما تُنظم المساجد برامج لتلاوة القرآن بمعدل جزء كل يوم، حتى يتم ختمه مع نهاية الشهر المعظم، تعرف ببرامج "التلاوة الخضراء". يُسطر الحرم الرضوي برنامجا خاصا بشهر رمضان المعظم، يشمل مائدة الإكرام الرضوي، كما يُخصص 14 محلا لترتيل وتلاوة القرآن الكريم من قبل القرّاء البارزين والدوليين في كنف أنيس النفوس، وتنظم يوميا ثمانية دروس تفسيرية من قبل العلماء الكبار في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، و 15 محاضرة يوميا أي 450 محاضرة طيلة الشهر. كما يشهد الحرم إقامة برامج إحياء خاصة بليالي القدر المباركة للزوار العرب والأردو في رواق دار المرحمة وصحن الكوثر، وبرامج خاصة بالأطفال واليافعين. وتقام سنويا في هذا المحل المقدس أكثر من 1350 جلسة للإجابة عن الأسئلة

الدينية، و يُستضاف أكثر من 4000 معتكف، ويُوفد أكثر من 60 فريق ديني للتبليغ في المناطق الفقيرة الموجودة أطراف مدينة مشهد المقدسة وغيرها. يبلغ عدد البرامج المخصصة لشهر رمضان أكثر من ألفي برنامج قرآني سنويا. ومن جهتها، تأخذ وزارة الثقافة وإدارة الأوقاف في الجمهورية الإسلامية الإيرانية على عاتقها إعداد وتنظيم برامج قرآنية متنوعة في شهر الله الفضيل، تستهدف كافة الأعمار من النساء و الرجال، وتتناول كفايات الحفظ والتلاوة والتفسير والخطابة. ومن أبرز نشاطاتها، تأسيس ما يُعرف بالكانون الثقافي في كل مسجد من مساجد الجمهورية الإسلامية، وهدفه التثقيف القرآني وتنظيم جلسات الأنس والتدبر خلال هذا الشهر المعظم، و يكون ذلك عن طريق إرسال رجال الدين و الأئمة إلى مساجد القرى و البلدات، وحتى المنازل لتعليم الأفراد العلوم القرآنية. لا يقتصر اهتمام الإعلام الإيراني بشهر القرآن بالقسم السمعي البصري فحسب، بل يشمل أيضا الشق الإذاعي الذي يُوفر باقة من النشاطات الإعلامية المختصّة بالقرآن الكريم في هذا الشهر، بفضل العديد من الإذاعات التي أنشأت لهذا الغرض، والمتمثل في خدمة كتاب الله، كإذاعة القرآن الكريم الإيرانية التي تبذل جهودا جبارة لتعميم ثقافة القرآن الكريم في المجتمع. وليس ببعيد عن الإعلام، تسحرنا السينما الإيرانية بما تجود به علينا من إنتاج غزير في هذا الشهر الفضيل.. سينما بسيطة، لكنها خلّاقة ورصينة وفريدة استطاعت أن تقفز للعالمية فأبهرت الجمهور والنقاد بجماليتها وشاعريتها، وقدرتها على تصوير أدق تفاصيل الحياة، وابتكارها في معالجة القضايا، معالجة إسلامية مستنبطة من وحي القرآن وتعاليمه، لا ابتذال فيه، ولا جنس ولا دماء ولا عنف. وكما هو معلوم، فإن للسينما الدينية في إيران النصيب الأكبر من التمويل الحكومي، وتوفر لها إمكانيات هائلة تؤهلها للدخول في السباق التكنولوجي، فمثلا، خصصت خمسة ملايين دولار تقريبا لإنتاج فيلم يحكي سيرة النبي سليمان عليه السلام. وترى الجهات الحكومية في إنتاج هذه الأفلام الدينية صدى يصل إلى جميع الأرجاء، ويوصل المعنى الحقيقي للسينما الإيرانية التاريخية والدينية.

ويُشجع رجال الدين الإيرانيين إنتاج الأفلام الدينية الهادفة التي تنقل المعارف و المعاني القرآنية، ففي رصيد السينما الإيرانية عشرات الأفلام التي تناولت حياة الرسل صلوات الله عليهم، كالنبي يوسف و أيوب و المسيح و نوح و إبراهيم و يونس و داوود عليهم السلام جميعا، و حياة أهل البيت الكرام كمسلسل الإمام الحسن عليه السلام وواقعة الطف الأليمة، ومسلسل باب المراد الذي يروي سيرة الإمام الجواد(ع)، ومسلسل جسّد سيرة وتاريخ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بعنوان غريب طوس، و حياة الصحابة والتابعين كالمختار الثقفي وشهيد الولاء الصحابي حجر بن عدي، ناهيك عن القصص القرآنية كمسلسل أصحاب الكهف، و الوثائقيات التي تبسط من مفاهيم الرحيق المختوم، وحياة الأئمة الأطهار، كالفيلم الوثائقي "الضيافة البطولية" حول كرامات الإمام علي(ع).

رمضان إيران معطّر بحُبّ فلسطين

لا يمكن أن نغض الطرف عن المواقف المشرفة للجمهورية الإسلامية في إيران وشعبها العظيم خاصة ما تعلق بدعم المقاومة الفلسطينية، على الرغم من الجبروت والحصار والعقوبات المفروضة عليها، ولولا هذا الدعم لما استطاعت المقاومة الفلسطينية الصمود في مواجهة العدو الصهيوني. فقد ترك مؤسس الجمهور ـة الإسلامية الإيرانية الإمام الخميني، تـراثا مهيبا تمثل في يوم القدس العالمي، فمنذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران في 11 شباط/فبراير 1979، أعلن الإمام الخميني بعدها بأشهر وتحديد في 7 آب/ أغسطس من العام نفسه، أن "الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك هي يوم عالمي للقدس الشريف" تخليدا للقضية الفلسطينية في الضمير البشري، قالبا بذلك الطاولة على رؤوس الصهاينة الذين كانت ضمن إستراتيجيتهم التي وضعها بن غوريون في خمسينات القرن الماضي، شراء ذمم بعض الدول المسلمة لصياغة تحالف استراتيجي يهدف لمحاصرة الشعب الفلسطيني، حيث حطم عرش الطاغوت واقتلع سارية العلم الأمريكي ورماها أرض ، وأحرق الراية الزرقاء الغير شرعية. لا تقتصر فعاليات إحياء يوم القدس العالمي في إيران على الخروج في الشوارع للتنديد، وإنما تسخر الدولة الإيرانية ترسانتها الإعلامية للتعبئة، وتُنظم عشرات البرامج و الملتقيات و الندوات عن القضية الفلسطينية في مختلف ربوع الوطن و المؤسسات والهيئات العامة و الخاصة.

آخر أيام شهر رمضان المعظم

يُخصص الإيرانيون الأيام الأخيرة من الشهر الفضيل للتحضيرات لعيد الفطر أو "جشن رمضان"، و يستعدون لاستقباله من خلال تنظيف البيوت، وشراء الملابس، وصناعة الحلويات والمأكولات، والتصدق على الفقراء، واستخراج زكاة الفطر. وتبدأ في الأسبوع الأخير من رمضان عملية شراء ملابس العيد والإكسسوارات والحنة لتجميل أيادي الفتيات، خصوصا في الجنوب والجنوب الشرقي والغربي من إيران، في حين يتم اقتناء القمح وبعض الحبوب واللحم استعدادا لطبخ الوجبات التقليدية في العيد كحساء "آش"، و"حليم"، و"هريسه" (هريس). في حين يُطلق في محافظة خوزستان ومدينة أهواز غربي إيران على اليوم ما قبل الأخير من رمضان اسم "أم الوسخ"، حيث يخصص هذا اليوم لترتيب المنزل وتنظيفه، في حين يُسمى اليوم الأخير من الشهر ب"أم الحلس" وهو مخصص للتحضيرات الشخصية، كأخذ حمام ساخن و تحضير الملابس و الإكسسوارات. يستغل الإيرانيون ليلة العيد لتوديع شهر رمضان الفضيل، فينظمون حلقة قرآنية يُختم فيها القرآن ويُرفع الدعاء، وينشدون الأناشيد الموسمية، مثل "الوداع خواني"، كما يرددون أبيات شعرية توديعية باللغة الفارسية، منها "الوداع الوداع يا رمضان" و"عليك السلام يا رمضان". وفي كردستان، تعد النساء في السابع والعشرين من شهر رمضان حلوى محلية تسمى «برساق»، ويقمن بتوزيعها على الجيران والأقارب وفي المسجد القريب من محل سكنهن. دامت أفراح المسلمين و كل عام و أنتم بألف خير .....